دور العقل فى الفلسفة الوجودية عند ياسبرز

إعداد

نورهان محمد علي البلاط

أ.د محمد مجدي الجزيري

أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب _ جامعة طنطا

أ.د محمد يحيي فرج

المستخلص:

ان نظرة واحدة على الوجودية لهى كفيلة بأن توضح لنا أن الفلسفة الوجودية من أحدث المذاهب الفلسفية ، حيث تحتل مركز الصدارة والسيادة فى الفكر المعاصر . وقد اعتاد الباحثون تقسيم فلاسفتها إلى وجوديين مؤمنين وآخرين غير مؤمنين ، كدليل على التنوع الذى يمكن أن يوجد فى هذا اللون من التفلسف ..

ولئن كان من الصواب أن نقول إن أنواع الوجوديين تشمل فعلاً مؤمنين مقتنعين بدينهم ، وغير مؤمنين مقتنعين كذلك بعدم اعتقادهم ، فإن هذه القسمة لا تساعد كثيراً على فهمهم ، لأنها تكشف عن تبسيط مفرط ، فهناك بعض الفلاسفة الوجوديين لا يمكن وضعهم فى هذا التصنيف ..

ولعلنا نلاحظ ذلك على آراء كارل ياسبرز Karl Jaspers (١٨٨٣م-١٩٦٩م) ، حيث يبتعد إلى حد ما عن غيره من الوجوديين ، فهو ليس مسيحياً بالمعنى المتعارف عليه لهذه الكلمة ، لكنه فى الوقت نفسه ليس من أصحاب عدم الاعتقاد ، بل يمكن وصف ياسبرز أجل وصف بأن إيمانه قائم على العقل، وهو يدعم هذا الإيمان بتحليل يدعو إلى الإعجاب ، حتى ولو قيل أن هذا الإيمان لا يمكن البرهنة عليه ..

الكلمات الإفتتاحية:

دور العقل؛ الفلسفة الوجودية؛ ياسبرز

والواقع أن مناقشة دور العقل Reason فى الفلسفة الوجودية عند كارل ياسبرز يقودنا بالضرورة إلى تحليل موقفه من مشكلة ارتباط العقل بالوجود ، ومن ناحية أخرى ارتباطه بالإيمان ، وهو الارتباط الذى يؤكده ياسبرز فى كتابه " الفلسفة" بأجزائه الثلاثة . ولا جدال فى أن ياسبرز هو فيلسوف الوجود الذى حرص كثيراً على احترام مطالب العقل والتفكير، فالعقل هو قبل كل شيء عامل أساسي فى تكوين الموجود البشرى .. وفلسفة الوجود - على حد تعبير جون ماكورى J. Macquarrie - لابد لها أن تعمل حساباً للعقل والفكر بسبب أنها فلسفة ولأنها وجودية معاً . وبالرغم من إدراج وجودية ياسبرز ضمن الوجودية المؤمنة ، فإنه لا يمكن فهمها إلا فى ضوء الاهتمام بالعقل وبيان دوره .

ويولى هذا البحث إهتماماً كبيراً بتقديم رؤية جديدة عن دور العقل فى الفلسفة الوجودية ، فليس هناك بحث أو كتاب يعالج فكرة العقل وعلاقته بكل من الوجود الإنساني والإيمان فى فلسفة ياسبرز الوجودية من هذا المنظور فى المكتبة العربية ، بالرغم من وجود بعض الكتب التي تتناول الوجودية بالدراسة التاريخية ابتداءً من كيركجورد وحتى سارتر .

وما يدفعنا إلى الاهتمام بدراسة دور العقل فى الفلسفة الوجودية عند ياسبرز ، عدة عوامل أهمها :

(١) أن فلسفة ياسبرز نفسها تعد نقطة تحول حاسمة فى تاريخ الوجودية ، ويرجع ذلك إلى أنه ليس بالفيلسوف الديني المؤمن ، ولا رجل الكفر والإلحاد ..

(٢) أن فلسفة العقل عند ياسبرز أشبه ما تكون بالثورة على الميتافيزيقا التقليدية ، وذلك لأنها غيرت من مفهوم الميتافيزيقا نفسها ، وكذلك من مجالها ووظيفتها ، فأصبحت الفلسفة لديه فلسفة الشفرات التي تستشرف بنور العقل وأداء دوره ..

(٣) ينفرد كارل ياسبرز عن باقي الوجوديين بموقفه من العقل وأنه شرط ضروري لفهم الوجود والإيمان ، ومن ثم فإن ذلك يحدد لنا أيضاً موقفه من العلاقة بين الفلسفة والدين ..

دور العقل فى الفلسفة الوجودية عند ياسبرز

تؤكد الفلسفة الوجودية عند ياسبرز على أهمية دور العقل فى الاقتراب من فهم الحقيقة أو معرفتها أو الوصول إليها. وهذه الأمور ليست معدة جاهزة أمامنا للفحص ، بل لابد لنا من أن نحصل عليها من خلال فعل نقوم به .

والتفكير thinking هو النشاط الذى نصل بواسطته إلى المعرفة. والوجودية بنظرتها هذه إلى التفكير تجد نفسها مرة أخرى على خلاف مع معظم التراث الفلسفي . فقد كان هناك بصفة خاصة ، تراث طويل يذهب إلى أن الفكر والواقع Reality شيء واحد ، وهو تراث يرتد ، على أقل تقدير إلى قول بارمنيدس : "أن التفكير والوجود هما شيء واحد" ، ولقد ظل هذا التراث مسيطراً على الفلسفة الغربية ، وربما وجد أعظم تعبير مذهبي عنه فى فلسفة هيجل التي ذهبت إلى أن ما هو واقعى عقلي ، فهو فكر مطلق يفكر فى ذاته .

هذا ولم تكن فكرة العقل Reason موضوعاً واضحاً فى كتابات ياسبرز حتى صدور كتابه "الفلسفة" Philosohie الذى احتواها والذى نشر لأول مرة عام ١٩٣٢ .

لقد كشف العقل عن نفسه بوصفه موضوعاً أساسياً فى فلسفة يسبرز بدءاً من محاضرات "العقل والوجود الإنسانى" Vernunft und Existenz التى ألقاها ونشرها عام ١٩٣٦، ورداً على الملاحظة التى أبداها كوفمان Kaufmaan أنكر ياسبرز غياب مناقشة فكرة العقل فى كتاباته التى نشرها قبل عام ١٩٣٦ ، إذ كانت تشكل تغييراً واضحاً فى طريقة تفكيره . هذا ويؤكد فيلسوفنا بعد ذلك تغلغل فكرة العقل قبل وبعد تلك المحاضرات ومن ثم أصبح غموض مفهوم العقل واضحاً بعد ذلك [١].

كان الاهتمام بتطور الاتجاهات اللاعقلانية Anti Rational ، وبخاصة الاتجاه الاشتراكى الوطنى – هو الدافع إلى اهتمام كارل ياسبرز بالعقل [٢] .

يمكن القول أن مناقشة فكرة العقل قد أوضحت فكر ياسبرز الخاص والمميز عن الوجوديين عامة ، وقد بدأ هذا الاتجاه فى أول الأمر وكأنه غير مرغوب فيه ، إلا أنه أصبح حقيقة لا يمكن اغفالها فيما بعد . حيث يتبين لنا أن كارل ياسبرز هو فيلسوف الوجود الذى حرص كثيراً على احترام مطالب العقل والتفكير ، فالعقل هو قبل كل شئ عامل أساسى فى تكوين الوجود البشرى ، وعلى حين أن ياسبرز يمكن أن يتفق مع كيركجورد فى أن الواقع

يجاوز العقل ، فإنه لا يرى أى انفصال بينهما ، حتى أننا نجد فى مؤلفاته طابعاً فلسفياً يدلنا على أن فلسفة الوجود لم تعد مجرد وصف لتجربة ذاتية، بل هى قد استحالت إلى تفكير عقلى قوامه التعمق فى فهم معنى الوجود .(٣)

وعلى حين يحدد كارل ياسبرز طبيعة هذا العقل ، فإنه يقترب أكثر من تحديد الصورة التى يتحول فيها إلى ما هو ضد العقل أو بمعنى آخر - تفتيت الوجود - إذ أن الفكر يكشف الوجود كشئ متفرق أو مشتت ، وفى ذات الوقت يصبح هذا التفتت أو التشتت متنافرا مع الفكر . وهذا الكشف أو الانكشاف Disclosure والتعارض أو التنافر Repugnance كلاهما يفرض فكرة متعالية عن الوحدة : فأين تكمن إمكانية هذه الفكرة ؟

ومن هنا يرى كارل ياسبرز أن الحالات المختلفة للوجود بوصفنا نحن إياه ، يختلف بعضها عن البعض الآخر ، لذلك يجب أن نعمل على وضوح الحالات المختلفة التى يتبدى عليها الوجود الإنساني بوصفها وجوداً معاشا Mundane أو عقلا أو روحا ، أو وجودا إنسانيا يحتوى كل ذلك .

وفى حالة اهتمامنا بالآثار الحيوية للوجود المتعين Dasein ترانا لا نهتم بالتفكير العقلى المنظم ، أو الأفكار الرائدة التى تبنى الحضارة . أننا قد نستطيع فقط السعى من أجل وضوح الفكر المجرد ، ولا نهتم بالوصول إلى الحقيقة بعد مجهود شاق ، وهى تلك الحقيقة التى تنصب حول أحداث العالم الخارجى الذى نعيش فيه ، وابتكار نظريات نستطيع بها تفسير هذه الأحداث . بل يمكن القول مع ياسبرز بأننا قد نبحث فى معرفة أو خلق أفكار روحية رائدة قد تتعارض أو تتفق ، ولا نهتم بمعناها أو الطريقة التى تتحقق بها فى الفرد التاريخى "أو الإنسان التاريخى" وقد نقرر الصمود أمام كل ذلك ، ونحن نعى تماماً بأنه إذا لم يتبق أى شئ نعتمد عليه ، فإنه لا يتبقى أمامنا سوى الحرية الوجودية فى قبول أو رفض المصير الإنسانى ، ولا نهتم بالخضوع لأفكار كلية واضحة ، أو مذاهب فكرية تعلى من شأن النزعة الفردية Individuality ، وقد نلجأ إلى الاتحاد بالله اتحاداً صوفياً Mystic unification وبالتالى يرى ياسبرز أن كل واقع أرضى هو شئ زائف لا معنى له .(٤)

يرى كارل ياسبرز أن مجال الروح والأفكار الرائدة التى بواسطتها يستطيع الناس تنفيذ مهمة الحضارة ، نراهم يعملون أحياناً على تمزيق أوصالها بشكل يجعل من المتعذر عليه إصلاحها ، ففى المجتمع المثالى الرومانسى الشيوعى ، نجد أن الناس تتمتع بأقصى درجة من الحرية ، وذلك حسب إمكانياتهم وقدراتهم بفضل الاقتصاد القائم على التخطيط الكامل ، حيث يتحرر فيه الناس من عبء كسب خبزهم اليومى . هذا ويعد العقل أمراً خاصاً بالوعى الفردى الذى لا يمكن تحديده ، بل أن العقل هو الوحدة التى تجمع بين الأحوال المختلفة للوجود الإنسانى ، وبعبارة أخرى فإن العقل هو القوة التى تساعدنا على معرفة الحالات المختلفة للوجود ، وبذلك يمكننا تحديد الحقائق الخاصة بها ، بل ويبحث العقل عن النظام عندما تسود الفوضى وتتفتت الأشياء ، وتفقد الصلة فيما بينها ، ويعترف العقل فى الواقع بهذه الصلة التى تربط الأشياء ، ويعمل على تحقيق وحدتها ، ولم يكن تصور العقل لهذه الوحدة تصوراً عادياً ، فمهمته هى تحقيق وحدة منظمة أو مرتبة بين الأشياء ، ومع ذلك فإن هذه المهمة من المهمات المتعالية للعقل .(٥)

والعقل هو عقل فى الزمان ، والزمان هو زمان الوجود الإنسانى ، ومن ثم فالزمان شرط لا غنى عنه من شروط الوجود الإنسانى Time is the condition sine qua non of Existenz ، هذا ويتجلى العقل فى الزمان ، ولذلك فهو رمز وليس عادة ، اتصالاً وليس إعلانا ، ونرى العقل فى كل ذلك لا يلتزم برأى أو بفكرة ما عن الحقيقة ، لأنه يبحث فى إدراك معناها ، والعلاقة بينها وبين هذه الآراء التى تعطى عنها . وليس غريباً على العقل فى أن يقوم بمهمته على أكمل وجه وهى الفهم، وهو لا يميل إلى استبعاد كل ما يعارضه، كما نراه يعمل على تنظيم كل شئ بهدف الوصول إلى الوحدة بين الأشياء ، ويعد كل شئ فى نظره أقل من هذه الوحدة ، وليس معنى ذلك أن العقل متسامح مع كل شئ بدون مبدأ ، بل نراه يرفض أن يجعل ما هو أقل من المطلق شيئاً مطلقاً ، وعلاوة على ذلك نراه يؤمن إيمانا شديدا ، بأن معن مقهمته هى إيجاد المبدأ الذى ينظم الأشياء ويجعلها نسبية .

ومع ذلك فالعقل أيضاً ليس كافياً فى ذاته ، إذ أنه يتحرك نحو الواحد النهائى الذى يعلو كل شئ أقل منه . هذا ويعتمد العقل على الفهم فى تبرير وجود أى شئ يقع داخل هذا الوجود بطريقة ما . وعندما يبحث العقل عن الواحد أو الوحدة التى تربط الحالات المختلفة للوجود ، نراه لا يملك أى مضمون إلا إحدى هذه الحالات .

بيد ان العقل ينطلق نحو الموجود مهتماً بنظامه وترتيبه ، ولذلك فإن كل ما هو موجود خارج العقل يكون مشتتاً وبعيداً عن أى نظام ، هذا ولا يمكن لنا أن نفترض وجود العقل بدون الموجود الذى يبحث فى طبيعته ونظامه تحت إطار الوحدة النهائية "أو اتحاد" الموجودات الأخرى أيضاً .

من ناحية أخرى يعد منهج العقل فى الفكر هو العلو أو التعالى Transcending ، ومن ثم فالهدف النهائى للمنهج المتعالى هو الوجود الواحد الذى يجمع فى داخله بين حالتى الذات والموضوع . ولا يخضع هذا الوجود عامة للفكر ، وإلا فسوف يصبح موضوعاً من الموضوعات أمام الذات . وقد لا نصل إلى هذا الوجود إلا عن طريق "إعلاء الفكر" ، هذا وينشط الفكر العقلى فى تعاليه بفاعلية وتأثير الحدود التى يفكر فيها ، ولعل فهم هذه الحدود بهذه الصورة حتى الآن لم يعد فى الأصل هو العلو. [٦] وقد يستسلم بعضنا أحياناً فى البقاء داخل هذه الحدود فلا يمكن تجاوزها . وأحياناً يهمل بعضنا هذه الحدود على الرغم من إدراكنا لها ، فمثلاً نجد الفيلسوف الوضعى يقر بأن حدود المعرفة تجريبية ، وما عدا ذلك لا يشكل عنده أى اهتمام .

و بالرغم من ذلك ، فإن العلو أو التعالى يكون ممكناً فقط عندما نفهم أو ندرك أن حدوده ليست مقيدة بالزمانية Temporary ، وبالتالى لا يمكن تناوله بوصفه أمراً واقعياً ، ويتبين لنا من ذلك أن هناك اتجاه فى فلسفة ياسبرز نحو واحدية الوجود Oneness of Being ، وهو ما لا يسمح بوجود تفتيت أو تعدد أو تنوع فى الوجود . وتسعى حركة العقل إلى التفكير فى حدود هذا العلو من أية تجربة خارجية أو داخلية حتى لا يسلب الإنسان الخاص بمعرفة كل ما يتعلق بالحقيقة الواقعية التى تعلو جميع الحقائق الأخرى .

أما الفكر الذى يساعدنا على العلو أو التعالى لا يعبر عن تصورات محدودة ، بل هو يتطلب تأملاً فى المعرفة المحدودة التى تشير إلى النظام ، والأحداث التى ينبغى تنظيمها ، والاتصال الذى يوحى بأنه يفصح عنه.(٧)

وترجع أهمية الفكر عند كارل ياسبرز إلى أنه هو الذى يحول كل شئ إلى إمكانية مفتوحة ، حتى أن وضوح الأشياء فى العالم يكون متوقفا على الفكر ذاته ، وبالإضافة إلى ذلك فهو القوة التى تجعل الأشياء حاضرة أمامنا ، وهو الوسيلة التى تساعد على ربط حالات الشامل فيما بينها.(٨)

من ناحية أخرى يربط ياسبرز بين المعقول واللامعقول ، حيث يتأثر الأخير فى علاقته بالأول ، وأن اللامعقول يكتسب وجوده ومعناه بالنسبة لنا من خلال علاقته بالمعقول . وعلى ذلك فالعقل لا غنى عنه البتة .

كما يرى كارل ياسبرز أن الفكر فى شموليته ليس مجرداً ، بل هو ممتلئ بالعقل ذاته ، ولا شك أن المعقول يكون حاضراً أمام الوعى مباشرة ، ومع ذلك إذا أردنا أن نتناول اللامعقول ، فيجب أن يكون ذلك أيضاً من خلال العقل. ونحن ندرك اللامعقول فقط فى العلو أو المتعالى ، ولا نكتفى بالبحث عنه فى العالم أو فى أنفسنا ، بل فى كل شئ .(٩)

وفى تفسيرنا العقلى للشامل نجد أننا نتعالى بالفكر نحو هذا الشئ الذى لا يمكن أن يصبح موضوعاً . وهنا قد يحق للمرء أن يتساءل : لكن متى يكون الفكر متعالياً ؟

إن ذلك لا يتوفر عند ياسبرزإلا إذا أراد الفكر أن يجعل ما هو ليس فى موضوع قابلا للاتصال ، بحيث لا تظهر الاشياء الأخرى الموجودة فى العالم. بيد ان الفكر المتعالى القادر على التواصل او الاتصال Communicability ليس وعياً حاضراً ، بل هو فى النهاية مخالفاً لذلك ، ومن ثم يساعدنا العقل على أن نلمح مباشرة كل حالة قابلة للاتصال بالحالة الأخرى ، وهنا ينشأ نوع من اللامعقول ، وهو عقل حقيقى يصل إلى هدفه عن طريق تحطيم منطق الفهم .(١٠)

وإذا أردنا تحديد دور العقل عند يسبرز فى مجال المعرفة ، لوجدنا أنه يقوم بالربط بين المحسوسات . وليس من وظيفته فقط القيام بترتيب الأفكار وتنظيمها ، بل أن من حقه الشك متى أراد ، وذلك لكى يصل إلى الحقيقة .

من ناحية أخرى يؤكد ياسبرز على أنه بدون العقل لن يكون إيماننا صحيحاً ، بل إن العقل هو الضامن الوحيد للإيمان فى مقابل عدم الاعتقاد ، وهو الذى يهب الثقة للنفس .

والعقل هو الشامل الذى يوجد فى داخلنا ، وهو الأداة التى تساعد على فهم الوجود ، وبعبارة أخرى فإن الوجود هو صوت العقل. ويعد إيمان الإنسان المتعقل إيماناً صحيحاً ، وهو الإنسان التاريخى .

كما يتميز العقل على حد تعبير ياسبرز بالسرعة فى الأداء ، والقدرة والاستعداد على فهم المواقف والربط بينها . وبقدر مدح الفلاسفة للعقل ودوره، بقدر ما ينبغى أن يستخدموه

الاستخدام الأمثل ، وهو كما أشرنا الربط بين جميع حالات الشامل ، وألا يسمح بالانفصال ولا يهتم بالعدمية .

ولعل الحقيقة التى يتطلع إليها العقل ، لا تصطبغ بصبغة وضعية أو مثالية ، بل الحقيقة هى بالاتصال ، لأن الاتصال هو الصورة التى تعلن دائماً عن حضور الحقيقة .[١١]

جدير بالذكر أن ياسبرز عام ١٩٥٠م أراد أن يتخلى عن لقب "فيلسوف الوجود" ، وأن يطلق عليه "فيلسوف العقل" ، مشيراً إلى أنه قد تحدث منذ عشرين عاماً عن فلسفة الوجود ، وأضاف أنها لم تكن فلسفة جديدة أو خاصة، بل هى الفلسفة الخالدة التى يجب أن يتجه إليها الجميع .[١٢] ولكنه فيما

بعد أطلق على فلسفته اسم "فلسفة العقل" ، وتلك هى الخاصية المميزة والأساسية للفلسفة التى يجب التركيز عليها ، فإذا فقدنا العقل ، فقدنا كل شئ.[١٣]

وعلى ذلك ، كانت مهمة الفلسفة منذ البداية ، ولا تزال ، إكتساب هذه القوة ، "أى العقل" ، الذى يخضع لكل ما هو ضرورى ومنطقى خاص بالفهم، ويقوم بتحديد مناهجه ونتائجه دون الخضوع لحدود ما . إذن فما هو هذا العقل الذى اهتم به ياسبرز ؟

ليس معناه Raison فى الفرنسية ولا Reason فى الإنجليزية ، وعلى نهج كانط وكولردج يميز كارل ياسبرز بين قوتى العقل والفهم ، ولكن ليس بنفس طريقة كل منهما ، أو الدقة التى اتبعها كلاهما ، حيث يرى ياسبرز أن الفهم هو الإدراك الموضوعى الذى يعتمد على فعل الإدراك نفسه ، بينما العقل هو فهم غير موضوعى يرى الأشياء فى علاقتها بالكل المدرك ، وهو لا ينفصل عن قوة الفهم فى أية لحظة . بعبارة أخرى أن العقل هو الإدراك الذى يستجيب للوجود أو العدم ، وهو قوة شفافة لا يمكن تحديدها ، ولا تظهر إلا وظيفتها ، وبإيجاز أنها القوة التى تدفع فكرنا إلى العمل .

وإذا كان ياسبرز يقبل الجدل عند هيجل ، إلا أنه يرفضه أيضاً، وبخاصة فى حالة الانتقال من .. إلى .. ، كما أنه يقبل جدل كيركجورد القائم على الاختيار أما .. أو ، وقد حاول ياسبرز أن يجمع بين هذين النوعين من الجدل ، إلا أنه كان أكثر اهتماماً بالجدل المتعالى عند كنط .

والعقل فى ذلك لا يقبل شكلاً معيناً أو محدداً من الحقيقة ، بل هو يجبرنا على التعالى بأى من هذه الأشكال كشئ أساسى ولا نهائى . ولعل التمسك بحقيقة واحدة محددة أمر مستحيل تماماً ، وفى ذلك يقول يسبرز : "إن الحقيقة التى تدعى لنفسها أنها كاملة ليست حقيقة ، وتؤدى إلى الإحباط" . فالحقيقة دائماً على الطريق فى الزمان ، ودائماً فى حركة لا تهدأ قط ، ولا تصبح نهائية البته حتى فى أعظم وأورع حصاد لها ، أنها حالة للتفلسف الحقيقى على شريطة الا ننسى هذا الموقف أبداً . والوجود غير الحقيقى يريد أن يحصل على استقراره داخل المحدود ، وهو يفخر باستقراره هذا ، أما الوجود الحقيقى فهو الذى يقبل المخاطرة .

لقد حل منطق العقل الآن محل منطق الوجود ، ونحن نعلم أن منطق العقل عند هيجل قد تحقق فى فكرة الجدل ، وهو ما لا نستطيع أن نطلقه على منطق العقل عند ياسبرز ، الذى لا شكل له ، ولا منهج ، ولا وحدة موضوعية، بل أنه فقط مجرد وحدة ذاتية .(١٤)

من ناحية أخرى يرى كارل ياسبرز أن "العقل" ليس مجرد تفكير موضوعى واضح بسيط ، بل هو إدراك للمبادئ العقلية الكلية Ens rationis من جهة ، وكشف عما فى الوجود من عناصر لا عقلية من جهة أخرى . فليس من شأن العقل أن يسعى نحو الوحدة ، والنظام ، والقانون ، والكلى ، فحسب ، بل أن من شأنه أن يصطدم باللامعقول ، محاولاً الكشف عن دلالته الوجودية – ومعنى هذا أنه لابد للفيلسوف من أن يواجه (اللامعقول) عالماً تمام العلم أنه هيهات للعقل أن يقوم بدون نقيضه . وأما هذا النقيض الذى لا سبيل إلى قهره أو تصفيته أو التغلب عليه ، فهو تلك الحقيقة التى تلبست بصميم وجودنا والتى هى الشرط الأساسى لكل تفلسف .

وحين يتحدث كارل ياسبرز فى بعض المواضع من كتبه عن "العقل والوجود"، فإنه يعنى بهما حقيقتين متعانقتين لا انفصام بينهما ، ولابد للواحدة منهما من أن تختفى باختفاء الأخرى .

وأية ذلك أن العقل بدون الوجود حقيقة فارغة جوفاء لا تقضى فى النهاية إلا إلى نزعة عقلية خاوية ، فى حين أن الوجود الإنسانى Existenz بدون العقل مجرد دافع أهوج أعمى ، أو مجرد سعى عابث غير معقول . وتبعاً لذلك فإن العقل والوجود صديقان أكثر من كونهما عدوان ، خصوصاً وأن من شأن الواحد منهما أن يحدد الآخر، فضلاً عن أن من شأن الواحد منهما أن يطور الآخر ، وبذلك يتمكن الاثنان فى النهاية من بلوغ حالة مزدوجة من الوضوح العقلى والواقعية الوجودية .

العقل باعتباره حلقة الوصل بين حالات الشامل :

يؤكد كارل ياسبرز فى فلسفته على وجود حالات مختلفة للشامل .(١٥) وهى:

أ- الوجود باعتباره الآخر Being as the Other ، وهو إما العالم باعتباره وجودا تجريبيا ، أو العلو بوصفه "الوجود – فى – ذاته" .

ب - الشامل بوصفنا نحن إياه ، وهو إما وجودنا التجريبى ، أو الوعى بما هو كذلك ، أو الروح .

وهنا قد يحق للمرء أن يتساءل : ما علاقة العقل بهذه الحالات المختلفة التى يظهر فيها الشامل فى فلسفة ياسبرز ؟

بادئ ذى بدء يجب الإشارة إلى عدم اعتبار العقل حالة من حالات الشامل ، بل هو الرابطة القوية التى تربط ، وبالأحرى توحد بين جميع حالات الشامل .(١٦)

وعلى ذلك تبدو لنا الأهمية التى يوليها كارل ياسبرز للعقل ، مما يدفعنا معه من جديد إلى طرح سؤال : ما العقل ؟

يعود ياسبرز ، فيكرر بأن العقل هو التفسير أو التفكير فى الموضوع ، أو التحول من الغموض إلى الشفافية ، وعلى ذلك لا يوجد أكثر من شامل خاص بالوعى بما هو كذلك ، ومن الأفضل أن نطلق عليه وفقاً لمبدأ المثالية الألمانية ، اسم الفهم Verstand . وإذا كان معنى العقل هو المرحلة التى تسبق كل علو أو تعالى للفكر فى جميع حالات الشامل فهو إذن يتضمن الكثير من مجرد التفكير . وفى هذه الحالة نراه يمتد إلى ما وراء كل الحدود أو المادة السابقة التى ينبغى التفكير فيها ، وبناءً عليه فالعقل هو الأداة التى تقوم بتعقل الوجود ، باعتباره قانوناً أو مبدأ لترتيب بعض العمليات الخاصة به ، فى الوقت الذى يلقى فيه الضوء على الآخر ، ويقف فى مواجهة المطلق بوصفه لا معقولاً Counter – rational ، فيلمسه بإدراكه ، ويحوله إلى وجود يسمى بالوجود المتعالى أو "العلو" .

هذا ويستطيع العقل فى تعاليه أن يلقى الضوء على جميع حالات الشامل ، دون أن يتحول هو نفسه إلى حالة من هذه الحالات ، بل ويمكن القول أنه يشبه الشامل الحقيقى .[١٧]

ومن ناحية أخرى يؤكد يسبرز على ضرورة ألا يحصر العقل نفسه داخل أية حالة من حالات الشامل : لا فى الوجود التجريبى الذى يمنح الرغبة فى الوجود ، ولا فى الوعى بما هو كذلك أو الروح ، أو الكلية المنسجمة Harmonious Totality التى يمكن أن تكون موضوعاً للتأمل .

ويتفاوت العقل بين القوة والضعف ، فيكون ضعيفاً عندما يتقيد داخل المحدود ، ويكون قوياً عندما يصير بديلاً كافياً لذاته . ولا يعد العقل مطابقا للوجود ذاته ، وهو ليس لحظة من لحظات الفكر وليد المصادفة ، بل هو دائم الحضور من أجل تجميع الوجود فى كيان واحد ، بعد أن انفصلت أجزاءه داخل هوة مطلقة العمق ، فيتحول مرة أخرى إلى كيان من خلال عمليات الاتصال .[١٨]

العقل والوجود الإنسانى :

لا نجانب الصواب إذا قلنا إن العقل والوجود الإنسانى هما قطبى الوجود، حيث يلتقيان فى كل حالة من حالات الشامل ، وهما لا ينفصلان ، بل يختفى الواحد منهما باختفاء الآخر ، ومع ذلك يرى كارل ياسبرز أن العقل لا ينبغى أن يستسلم للوجود الإنسانى ، كما أن الوجود الإنسانى لا ينبغى أن يستسلم للعقل ، ومع ذلك أيضا فإن إنارة الوجود الإنسانى يتوقف على العقل ، ومضمون العقل أو محتواه يتوقف على الوجود الإنسانى .

وبدون العقل يصبح الوجود الإنسانى وجوداً فارغاً ، كما لو أنه غير موجود . وعلى ذلك فإن العقل والوجود الإنسانى لا يمكن اعتبارهما قوتين متعارضتين يواجه أحدهما الآخر من أجل إحراز نصر معين مثلا ، بل أن كل واحد منهما يعيش فقط من خلال الآخر ، ويطور الواحد الآخر بشكل متبادل ، ومع ذلك فهما لا يتحدان فى كل نهائى واحد .

والعقل بدون الوجود الإنسانى حتى فى أخصب مجالاته الممكنة يجتاز نوعاً من التفكير العشوائى، أو هو مجرد حركة عقلية للوعى بما هو كذلك . كما أن الوجود الإنسانى بدون العقل نراه يقوم على الشعور والتجربة ودقات القلب ، والغريزة حيث ينتهى أخيراً بالعنف الأعمى . وعلى كل فإن الواحد منهما بدون الآخر يفقد دوامه وحقيقته .[١٩]

ومن أولى السمات الأساسية للعقل ، الرغبة فى الوصول إلى الوحدة ، وهى وحدة واقعية فريدة واحدة ، وليست وحدة ينقصها شئ من خارج . ولعلنا إذا ما حصرنا أنفسنا فقط داخل إطار المعرفة العقلية الخالصة لهذا العالم ، فإننا سوف نفقد الحقيقة التى نتعايش معها .[٢٠]

وعلى حد تعبير ياسبرز أننا كثيراً ما نخلط بين العقل والفهم ، وذلك لأننا لا نستطيع أن نخطو خطوة واحدة بدون الفهم ، بينما فى إطار المعرفة العقلية نستطيع أن نتبين نزوع العقل نحو الوحدة ، ومن ناحية أخرى ، فإن تفكير الفهم ذاته ليس بأى حال من الأحوال هو تفكير العقل . فالعقل يبحث عن الواحد الذى يمحو الحقيقة . وبعبارة أخرى ، أن العقل يصل إلى الواحد عبر مسافة لا يمكن قطعها ، فيجعله حاضراً بقوة الجدب ، لقهر أى تقسيم يقف فى مواجهته .

وكلما اقتربنا من هذا الواحد نجد العقل يؤدى دوراً موحداً Unifying فى جميع المواقف ، وذلك لأن العقل يسعى إلى إرجاع كل شئ خارج هذا التشتت الذى ينشأ من الاختلاف المتبادل فى العلاقات الديناميكية فيما بينها . وهكذا تعمل القوة الموحدة للعقل حتى الآن فى جميع العلوم رغبة منها فى العبور من أزمة تحديد كل علم جزئى محدود وإدخاله ضمن العلوم فى مجملها ، وهو ما يعرف بوحدة العلوم ، ولكن العقل يتعدى بعد ذلك وحدة المعرفة العلمية إلى وحدة الشامل فى كليته . ويقوم العقل فى ذلك بإيضاح حالات الشامل ، فيمنع عزلة كل حالة عن الأخرى ، وبذلك نراه يسعى إلى اتحاد كل حالات الشامل .

من ناحية أخرى يرى ياسبرز أن العقل هو مصدر النظام ، كما أن العقل هو الإرادة الكلية للاتصال وهو يهدف إلى المحافظة على كل شئ يمكن التعبير عنه بلغة الوجود.[٢١]

بيد ان العقل لا ينصب نفسه قاضياً ، بل ولا يدعى أية أحكام مذهبية دوجماطيقية بل أنه يتوخى الأمانة والموضوعية فى التعمق داخل الوجود ، ويسمح له بالخروج إلى النور .

ومهما يكن من شئ ، فإن الفلسفة طوال الألف سنة الماضية كانت أشبه بأنشودة عظيمة للعقل ، رغم أنه كان يقع باستمرار فى مأزق أو خطأ المعرفة التى انتهى عهدها ، ومن ثم نرى العقل يتحول إلى فهم أحياناً.[٢٢]

هوامش البحث

(١) يقول الفيلسوف اليونانى "انكساغوراس" : "فى البدء كان كل شئ مختلطاً، ثم أتى العقل فميز كل الأشياء ليعيد تنظيمها . وهذه العبارة إنما تتضمن وصفاً بارعاً للعمل الذى يباشره العقل على نفسه ، بغية القضاء على الاضطراب العقلى والتخلص من الخطأ الذى هو خلط فى حقيقته ، فعلى أى شئ يطلق اسم العقل ؟ أن العقل ليس ، على وجه الدقة ، وظيفة نفسية كسائر الوظائف ، أعنى وظيفة تفى بمقتضيات مرحلة محددة من مراحل النشاط العصبى ، فهو على وجه الدقة ، ليس قبولاً سلبياً ولا استجابة . وهو لا يشبه الإحساس أو الانفعال من جهة ، ولا الرغبة من جهة أخرى ، ذلك لأنه يسمو على مرتبة الإحساس ، ويجعل منه مجرد علامة تدل على الواقع . وهو يتحرر من الانفعال المشوب، الذى يثيره البدن ، والذى يعكر صفو الحكم الواضح ، ومن الرغبة التى لا تستهدف بلوغ الحقيقة ، فالعقل هو كشف الذات للحقيقة ، وهو الذات نفسها بالقدر الذى تعلو به على أفعالها الذهنية التلقائية ، وتحاول الوصول إلى الحقيقة،

رغم ما يعترضها من عقبات خارجية وداخلية ، وهو يفترض الانتباه ، وتوقف الفعل التلقائى ، والتركيز الباطن ، وهو يفترض التطهير والتحرر من المنافع ومن الميول والأهواء . وأخيراً يفترض منهجاً فى المعرفة يتسامى بالذات على نفسها ، ويمكنها من الوصول إلى الحقيقة .

(2) Karl Jaspers: Philosophy as Faith, by Leonard H. Ehrlich The University of Massachusetts – Press Amherst, 1975. PP. 124-125.

(٣) جون ماكورى ، الوجودية ، ترجمة امام عبد الفتاح امام ، سلسلة عالم المعرفة ، دولة الكويت ، عام ١٩٨٢م ، ص ٢٠٦ .

(4) Karl Jaspers: Philosophy as Faith. P. 125.

([5]) Ibid. p. 126.

(6) Ibid. p. 127.

(7) Ibid. p. 128.

(8) Karl Jaspers: Reason and Existenz – Five Lectures – translated with an Introduction by William Earle - London – 1956 – p. 109.

(9) Ibid. p. 110.

(10) Karl Jaspers: Der Philosophische Glaube – Copyright 1948 by R. Piper und Co. Verlag Munchen – Printed in Germany, pp. 38-39.

(11) Ibid. p. 39.

([12]) Ibid. p. 40.

(13) F.H. Heinemann: Existentialism and the Modern Predicament – Harper Torchbooks – The Cloister Library – Harper and Ow Publishers – New York, 1958. P. 79.

(14) Ibid. p. 80.

(١٥) مصطلح "الشامل" Encompassing عند ياسبرز يدل إما على الوجود ذاته ، الذى يحيط بنا أو يدل على الوجود الذى هو وجودنا نحن .. وما هو بالموضوع ولا بالذات ، بل يشمل كل منهما فى داخله . هو ذلك الذى يحتوى على كل أفق جزئى ، كأنه محيط تدخل فيه كل الآفاق" . (أنظر : محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، منشأة المعارف بمصر، القاهرة عام ١٩٨٦م ، ص ١٩١.).

(16) Karl Jaspers : Reason and Existenz, p. 64. (17) Ibid. p. 65.

(18)Ibid. p. 66.

(19) Ibid. p. 67.

(20) Karl Jaspers: Philosphy of Existence – Translated and with an Introduction by Richard F. Grabau – Oxford, Basil Blackwell, 1971. P. 54.

(21) Ibid. p. 57.

(22) Ibid. p. 60.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع الاجنبية :

-F.H. Heinemann: Existentialism and the Modern Predicament – Harper Torchbooks – The Cloister Library – Harper and Ow Publishers – New York, 1958. .

-Karl Jaspers : Philosophy as Faith, by Leonard H. Ehrlich The University of Massachusetts – Press Amherst, 1975.

-Karl Jaspers: Reason and Existenz – Five Lectures – translated with an Introduction by William Earle - London – 1956

-Karl Jaspers: Der Philosophische Glaube – Copyright 1948 by R. Piper und Co. Verlag Munchen – Printed in Germany.

-Karl Jaspers: Philosphy of Existence – Translated and with an Introduction by Richard F. Grabau – Oxford, Basil Blackwell, 1971.

ثانياً : المصادر والمراجع العربية :

- جون ماكورى ، الوجودية ، ترجمة امام عبد الفتاح امام ، سلسلة عالم المعرفة ، دولة الكويت ، عام ١٩٨٢م .

- محمود رجب : الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، منشأة المعارف بمصر، القاهرة عام ١٩٨٦م.

(الفهـــــــــرس)

الموضوع **الصفحة**

تقديـــــم ٢
دور العقل فى الفلسفة الوجودية عند ياسبرز ٤
العقل باعتباره حلقة الوصل بين حالات الشامل ١٢
العقل والوجود الإنسانى ١٤
هوامش البحث ١٦
قائمة المصادر والمراجع ١٩
أولاً : المصادر والمراجع الاجنبية ١٩
ثانياً : المصادر والمراجع العربية ٢٠
الفهرس ٢١

The role of the mind in the existential philosophy of Jaspers

By

Nourhan Muhammad Ali Al-Blat

Prof. Dr. Mohamed Magdy Al-Jaziry

Professor, Department of Philosophy, Faculty of Arts, Tanta University

Prof. Dr. Mohamed Yahya Farag

Abstract:

One look at existentialism is enough to show us that existential philosophy is one of the most recent philosophical doctrines, as it occupies the center stage and supremacy in contemporary thought. Researchers used to divide its philosophers into believers and non-believers existentialists, as evidence of the diversity that can exist in this type of philosophy.

While it is correct to say that the types of existentialists actually include believers who are convinced of their religion, and non-believers who are also convinced of their non-belief, this division does not help much in understanding them, because it reveals an excessive simplification. There are some existentialist philosophers who cannot be placed in this classification.

We may notice this according to the opinions of Karl Jaspers (1883 AD-1969 AD), as he is somewhat distant from other existentialists, as he is not a Christian in the conventional sense of this word, but at the same time he is not one of those who do not believe. That

his faith is based on reason, and he supports this faith with an analysis that calls for admiration, even if it is said that this faith cannot be proven.

Keywords: the role of the mind; existential philosophy; Jaspers